**المحاضرة الرابعة:**

**الفلسفة اليهودية في المرحلة الاسلامية: مدخل عام**

1. **في علاقة الفلسفة اليهودية بالفلسفة الاسلامية:**

عرفت الفلسفة اليهودية في المرحلة الاسلامية سياقا جديدا مختلفا عن ذلك الذي عرفته في المرحلة اليونانية، أولا اكتشفت لغة جديدة وهي العربية، وثانيا احتكت بثقافة دينية متقاربة معها وهي الاسلام. هذا السياق أثر بشكل كبير في توجهات الفلسفة اليهودية، فأما العربية فكانت آنذاك لغة الفكر والفقه والفلسفة، وكانت الوسيط الذي اكشف من خلاله أغلب الفلاسفة اليهود على الفلسفة اليونانية وبالخصوص الأرسطية بفضل الترجمات العربية، بالإضافة إلى أنها اللغة التي وظفها الفلاسفة اليهود في التعبير عن أفكارهم لأنها كانت تحتوي على ترسانة من المصطلحات والمفاهيم الفلسفية التي سهلت لهم التعبير عن أفكارهم.

أما الاسلام فهو بالتقريب متشابه مع الدين اليهودي حيث يتقاطعان في كثير من الأمور التي تتعلق بالحقائق الايمانية، كما أن اليهود في تلك المرحلة كانوا تحت سيطرة الخلافة الاسلامية، فالإضافة إلى الوضع الفكري الذي يطبعه التعصب نتيجة سيطرة الدين على كل مفاصل الحياة، كان اليهود أيضا يعيشون تحت السيطرة الاسلامية، بمعنى أن هناك عبء مزدوج من جهة الدين اليهودي الحاخامي الذي لا يؤمن بمبادئ التفكير الحر والمنطقي، ومن جهة أخرى المسلمين الذي مارسوا عليهم الاكراه الديني باعتبارهم مختلفين عنهم في المعتقد، رغم التعايش الذي ساد بينهم في بعض الأوقات.

إذا تحدثنا في المحاضرة السابقة عن فلسفة فيلون الإسكندري ومساعيه في التوفيق بين المعتقدات الدينية اليهودية والآراء الفلسفة اليونانية ودوره في رسم خطوط ومعالم التفكير الفلسفة اليهودي، إلا أن تأثيره على الفكر اليهودي اللاحق عليه بالكاد لا يذكر، فلو بحثنا عن أثر أفكار فيلون على الفلاسفة اليهود في العصور الوسطى أو لنقل في المرحلة الاسلامية نجد أنها بالكاد لا تذكر. فهناك قطيعة بين الفلسفة اليهودية في المرحلة اليونانية والفلسفة اليهودية في المرحلة الاسلامية. وبالمقابل فإن ظهور وتشكل وتطور الفكر اليهودي في العصور الوسطى يعود بالأساس إلى احتكاكه بالثقافة الإسلامية وتأثره بها.

2-  **الفكر اليهودي بين المشرق والمغرب الاسلامي:**

يمكن تقسيم الفكر اليهودي في المرحلة الاسلامية إلى قسمين: **الفكر اليهودي في المشرق الاسلامي** **والفكر اليهودي في المغرب الاسلامي،** وهذا التقسيم يعود بالأساس إلى انقسام الفكر الاسلامي بين المشرق والمغرب، بين العاصمة الفكرية بغداد، والعاصمة الفكرية قرطبة.

فأما في المشرق فقد استحدثت المعتزلة منهجا فكريا جديدا في الدفاع عن الدين لم يكن موجودا من قبل في التراث الاسلامي، فظهر نتيجة ذلك علم الكلام الاسلامي، وقد تأثر الفكر اليهودي كثيرا بهذه الحركية الفكرية التي احدثتها المعتزلة فراح يستلهم منها مواقفها وآرائها الفكرية كطريقة لتجاوز المذهب الربي rabbinique الذي كان سائد منذ عصر فيلون إلى غاية بداية عهد اليهودية في بلاد الاسلام. لم يعد التفكير الربي الذي يقوم على تقديس التلمود يستجيب ويجيب على المسائل الفكرية المطروحة آنذاك، فظهرت كنتيجة لذلك فرقة يهودية تعرف بالقرائيين karaïsme لا يعترفون بالتلمود لأنه في اعتقادهم من تأليف الحاخامات والرهبان وأغلب ما يتضمنه لا يتوافق مع العقل، ومع التفكير السليم، وأكثر من ذلك يقف في وجه الاجتهاد الفكري، وبالمقابل أصبحوا يعترفون فقط بالتوراة لاعتبارها المصدر الوحيد للعقائد اليهودية. وبفضل اجتهادات القرائيين ظهر في المشرق الاسلامي علم الكلام اليهودي على شاكلت علم الكلام الاسلامي يخوضون في قضايا مستمدة من علم الكلام الاسلامي مثل حدوث العالم، وتنزيه الله وعدله...إلخ. ومن أعلام المذهب القرائي نذكر: أبو يوسف بن اسحق القرقساني الذي ظهر في العراق في النصف الأول من القرن العاشر ميلادي وله كتابان: الأنوار والمراقب، وكتاب: الرياض والحدائق، وأبو علي الحسن أو يافث بن علي الذي ظهر في القدس في النصف الثاني من القرن العاشر، ويوسف البصير الذي ظهر في القرن الحادي عشر في فلسطين، وسعديا الفيومي الذي ولد بفيوم مصر في 882 وتوفي سنة 942 الذي كان معاديا للقرائيين ولكن تأثر بمنهجهم العقلي في تفسير التلمود، وله كتابات مهمة مثل: تفسير كتاب المبادئ وكتاب الأمانات والاعتقادات، تعرضت الفرقة القرائية للتضييق والهجوم من قبل الأصوليين اليهود ولم يبقى من تراثهم الفكري سوى ما حفظه خصوصهم الربويين في ردهم على أفكارهم مثل: سعديا كؤون ويهوديا اللاوي.

أما فلاسفة اليهودي في المغرب الاسلامي فقد تأثروا بالأفلاطونية الجديدة حيث كانت أفكار أفلوطين حاضرة منذ القرن التاسع الميلادي وتم توظيفها بشكل كبير في القرن الحادي عشر والثاني عشر مع الآراء الفلسفية الاسلامية الممزوجة بالفكر الأرسطي من أجل تحقيق التوفيق بين النصوص الدينية والأفكار الفلسفية، وكان للغة العربية والثقافة الاسلامية دور كبير في بلورة الفلسفة اليهودية، وقد ذكر أحمد شحلان العديد من أعلام الفلاسفة اليهود في المغرب الاسلامي أمثال اسحق بن سليمان الاسرائيلي الذي ولد بمصر سنة 850 ثم استقر في تونس وتوفي في955، وابن جبرول، ومن الفلاسفة اليهود الذي كتبوا باللغة العربية بالحرف العبري نذكر: بن بحيى بن سوف بن بقودا الذي عاش في النصف الثاني من القرن الحادي عشر، ويهوذا اللاوي الذي ولد طليطلة قبل سنة 1075، وموسى بن عزرة الذي ولد بغرناطة بين عامي 1055 و 1060، والفيلسوف اليهودي العظيم موسى بن ميمون.

تمثل الفلسفة اليهودية في المغرب الاسلامي وبالخصوص مع موسى بن ميمون قمة التفكير الفلسفي اليهودي نتيجة تأثرها الكبير والواضح بالحركية الفكرية التي ظهرت بالأندلس وبالتحديد في عاصمتها قرطبة التي لم تكن مدينة عظيمة في بنيانها وحسب وإنما أيضا كانت عظيمة من الناحية الفكرية والثقافية، حيث عرفت العديد من المفكرين والفلاسفة أمثال ابن حزم في الشعر، وابن عربي في التصوف، وابن طفيل في الفكر، والادريسي في الجغرافيا، وابن سينا في الطب، وابن المصرة وابن باجة وابن سينا وابن رشد في الفلسفة. هذا المناخ الفكري ساهم بشكل كبير في ظهور وتطور الفلسفة اليهودية.

كما هو الأمر في الفلسفة الاسلامية ظهرت عند الفلاسفة اليهود أيضا مساعي التوفيق بين الآراء الدينية اليهودية والفلسفة اليونانية وبالخصوص الأرسطية. حيث كانت أفكار أرسطو حاضرة بقوة في فكر ابن سينا وابن رشد، فما كان لفلاسفة اليهود سوى التقاط هذه الاشكالية ومحاولة الخوض فيها. ويعد الفيلسوف اليهودي ابراهيم بن داوود في المغرب الاسلامي الأول الذي حاول جاهدا أن يوفق بين الآراء الفلسفية الأرسطية مع الآراء الدينية اليهودية، ورغم المساعي التي قام بها إلا أنه لم يوفق كثيرا في هذه المهمة، ولم ينضج الفكر الفلسفي اليهودي إلا مع موسى بن ميمون الذي استثمر بشكل كبير في أفكار أرسطو والنظريات الفلسفية الاسلامية فكان كتابه دلالة الحائرين بمثابة قمة الفكر الفلسفي اليهودي الذي قدم محاولات جادة للتوفيق بين الأرسطية والحقائق الايمانية اليهودية.

لم تكن تحليلات أرسطو سهلة لمفكري العصور الوسطى لولا الشروحات التي قدمها ابن رشد واستفاد منها فيما ابن ميمون في الفلسفة اليهودية وتوما الاكويني في الفلسفة المسيحية. ففي مقابل النزعة الأفلاطونية الجديدة التي طغت على فلاسفة المشرق، وهشاشة الجدل اللاهوتي الأشعري والنزعة الدوغمائية عند الفقهاء، حاول ابن رشد أن يتجاوز ذلك من خلال التأكيد على المنهج البرهاني (التحليلي) والتفكير الجدلي والبرهنة الخطابية والمقولات المنطقية التي كانت تطبع التفكير الأرسطي بغية عقلنة المعرفة التي كانت في تلك المرحلة رهينة تعصب فقهاء المذهب المالكي. الذين فرضوا أنفسهم على أنهم ممثلي الرؤية الحقيقية للإسلام، ومما زاد من هيمنة هؤلاء الفقهاء هو سقوط خليفة قرطبة سنة 1031 وتفكك المماليك وتهديدات العدو المسيحي فتم تغدية فكرة الجهاد وهو الأمر الذي زاد من أهمية دور الفقهاء. هذا الجو الفكري المشحون والمتعصب الذي كان يشتغل فيه ابن رشد هو نفسه ما يمكن أن يقدم لنا صورة عن ما كان يواجهه أيضا مفكري اليهود وبالخصوص موسى بن ميمون في تلك المرحلة؛ وضع يكشف عن الصراع بين المعرفة العقلية الفلسفية(الدخيلة) والعلوم الدينية التراثية، وكما سعى ابن رشد إلى التوفيق بين الحقائق الدينية والتحليل الفلسفي المنطقي حاول كل من موسى بن ميمون في الثقافة اليهودية وتوما الاكويني في الثقافة المسيحية الاشتغال على نفس الاشكالية مستخدمين المصطلحات ونمط التحليل والبرهنة التي اعتمدها ابن رشد، وقد كان همهم الرئيسي هو التوفيق بين العقل والايمان، بين الشريعة والمعارف العقلية الكلية، بين اللغة الدينية ومقولات المنطق الأرسطي.

هذه الأرضية الفكرية والثقافة الاسلامية شكلت أرضية خصبة لبروز فلسفة يهودية مبدعة وراقية على شاكلت ما قدمه موسى بن ميمون الذي يعد أعظم فيلسوف يهودي في العصور الوسطى. وكما أشرنا في المقدمة عرف الفكر اليهودي العديد من الشخصيات الفكرية والفلسفية في المرحلة الاسلامية سواء في المشرق أو في المغرب الاسلامي إلا أننا سنتطرق فقط إلى فلسفة موسى بن ميمون لأنه يمثل أوج الفكر الفلسفي اليهودي.